تعدد الفعل القرائي للقرآن الكريم في تحديد المعنى

جيلالي جلول- جامعة ابن خلدون – تيارت -

ملخص البحث:

إن الحديث عن تعدد القراءات القرآنية في تحديد المعنى يأخذنا بالضرورة إلى كشف جمالية المعنى وثرائه كما تجعل القارئ يهتم بالقراءة القرآنية مما ينتج في ذهنه ديمومة البحث في الكشف عن الجوانب الدلالية للاستفادة منه والعمل به وضبط أفكاره فالقرآن الكريم هو مكمن الإعجاز وهذا ما يجعله يكون مستهدفا بالتحليل والدراسة باعتباره مرجعية دينية عربية إسلامية يقول نصر حامد أبو زيد "فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس ... يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بهذا الدرس الأدبي أن يعمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء ويقتبس منه ما يريد ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو اختلاف أو أخلاق أو إصلاح اجتماعي أو غير ذلك"[1] ولهذا وجب ضبط الاختلاف في القراءات القرآنية من أجل تحديد الدلالات والمقاصد واستنباط منها والمؤكد والمعروف أن القراءات القرآنية قد نزلت على سبعة أحرف دليل قاطع أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن الكريم على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم تخفيفا على الأمة الإسلامية مراعيا بذلك البيئة اللغوية للمسلمين "والمراد بالقراءات السبع المنقولة ن الأئمة السبع"[2] وهذا دليل على أهمية هذا العلم في الكشف عن كيفية أداء ألفاظ الوحي.

مقدمة:

جاء القرآن الكريم وفق سمت العرب في كلامهم حتى يثبت معجزته الخالدة في الأسلوب ونظمه وفصاحته وبلاغته مراعيا بذلك البيئة اللغوية السائدة وذلك لتيسير عليهم فهم المعاني والعمل بتعاليمها وهذا ما يبرز أن القراءات القرآنية مرتبطة ارتباطا وثيقا بنزول القرآن الكريم بصورة ثابتة وأساسية.

ونلتمس من هذه القراءات ثراء في المعاني القرآنية بفضل تعددها وفي هذا دلالة على أن الاختلاف هو من سنن الكون قصد الارتقاء والتجدد والتعارف بين الناس من خلال مناهجهم الفكرية، وعليه ضبط العلماء الألفاظ المختلف فيها في القراءات القرآنية.

---

[1] ـــ البرهان في علوم القرآن محمد بن عبد الله الزركشي،تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، مصر، دط، دت، ج ، ص: 327.

[2] ـــ القيامة/17

1- القراءات:

1 -أ- التعريف اللغوي:

كانت مختلف المعاني التي حملتها هذه المفردة تدور حول كيفية الوصول إلى المعنى المراد من أجل العمل به يقول ابن منظور في مادة قرأ: قرْءاً وقراءة وقرآنا وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها لقوله تعالى: { **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** }[1] وقرأ الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط وما قرأت أي لم يضطم رحمها على ولد وقرأت الكتاب قراءةً وقرآنا منه سمي القرآن[2] ونغس المعاني ذكرها الجوهري فقال:"وقرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط وما قرأت جنينا أي لم تضع رحمها على ولد وقرأت الكتابة قراءة وقرآنا ومنه سمي القرآن ... لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: { **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** }[3] أي جمعه وقراءته، قال تعالى: { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }[4] أي قراءاته"[5] ومنه نجد أن هذا اللفظ يقوم حول معاني الجمع والضم والتلاوة.

1 –ب- التعريف الاصطلاحي:

لا يمكننا أن نورد تعريفا اصطلاحيا شامل لعلم القراءات لأنه المتفحص لمفهومه عند العلماء يتفاوت بين الايجاز والاسهاب والتفصيل محاوليين الوصول لمجمله وعليه يرى القسطلاني: "أن علم القراءات هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والتحريك والاسكان والفصل والاتصال وغير ذلك من هيئة النطق والابدال من حيث السماع أو يقال: علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والاثبات والفصل والوصل من حيث النقل أو يقال علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مَعْزُواً لناقله"[6] وهو بهذا الشكل نجد القراءة تراعي السماع الصحيح والنقل السليم وثبات القويم لناقله وهكذا يتطور استعمال اللغة.

---

[1] ــ ينظر : لسان العرب، ابن منظور،دار صادر بيروت،لبنان، ط1، مج1،ص128-129

[2] ــ القيامة/17

[3] ــ القيامة/18

[4] ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيرت لبنان، ط4، 1990م، ج1، ص: 65.

[5] ــ لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تح: عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1392هـ 1972م ، مصر، ج1، ص: 170.

[6] ــ مفتاح السعادة مصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى(بطاش كبرى زاده)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ 1985م، مج/2، ص: 6.

وعلى هذا يرى أحمد بن مصطفى أن القراءات هو "علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة او مبادئه: مقدمات متواترة، وله أيضا استمداد من العلوم العربية والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة وفائدته صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة إلى حد الشهرة"[1] ومن خلال هذه التعريف نلحظ أن الجدوى منها هو معرفة النقل الصحيح للقراءات و تأكيد وجود الاختلاف فيها وضبط مواضع الاختلاف.

1- القرآن الكريم:

2- تعريفه:

2 -أ- لغة:

يعد القرآن الكريم الأصل الأول في اعتماده على مختلف مناحي الحياة في شتى مجالاته وذلك لسموه فوق كل لغة وهو الذي أرقى اللغة العربية عليه نجد "لفظ القرآن في اللغة مشتق من مادة (ق-ر-أ) وهو مصدر مرادف للقراءة على وزن فعلان وهذا اللفظ يستعمل للمعاني التي استعمل لها لفظ قراءة"[2] وهكذا نجد أن كلما كان الانسان ذا بصيرة في اللغة وفهما لمكنوناتها كان أكثر قوة على فهم القرآن وتذوق حلاوته.

2 -ب- اصطلاحا:

لقد أثر القرآن الكريم في العرب حينما سمعوه وذلك لكون العربية سجية من سجاياهم فالقرآن "هو كلام الله المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا متواترا"[3] .

وعلى هذا المنحى قد أجمع العلماء على أنه " هو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل إلينا بها في الاداء والحركات والسكنات ولم تعتن أمة بنص ما اعتنى المسلمون بنص قرآنهم وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المتواتر المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلم البلاغة وقراءاته جميعا الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة"[4]

---

[1] ــ علم القراءات، نشأته ــ أطواره ــ أثره في العلوم الشرعية، نبيل لن محمد إبراهيم آل إسماعيل، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط1، 1431ه 2000مـ ص:15.

[2] ــ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني تح: أبي حفص سامي بن العربي الأشري، دار الفضيلة للشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1421،1ه 2000م،ص: 169.

[3] ــ في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1414ه 1994م، ص: 28

[4] ــ البرهان في علوم القرآن محمد بن عبد الله الزركشي،تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، مصر، دط، دت، ج1، ج1، ص:318

وبهذا التعبير يتضح أن القرآن هو الوحي الذي أنزله الله عز وجل بواسطة جبريل عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونقل إلينا عن طريق التواتر.

3- فرق بين القرآن والقراءات:

ومن هذه التعاريف يتجلى لنا أن القرآن الكريم والقراءات هما مصدران لفعل واحد وهو –قرأ- من هنا يتبادر إلى الذهن تساؤل هو: **هل هناك فرق بين القرآن والقراءات؟**

وللإجابة على هذا التساؤل يجب السير في أغوار دلالات العلماء والمفسرين وأقصد بذلك الالمام بمكنون هذا التساؤل في مختلف المقاصد من بينها:

3 -أ- دلالة الاختلاف:

وهذا ما نجده عند بدر الدين الزركشي(ت794ه) حين رأى أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان معتمدا على هذا في تخريجه قائلا: "واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز والقراءات هي اختلاف الالفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف وكيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[1] والملاحظ من مذهب الزركشي أن هنالك فرق بين القرآن والقراءات ووفق هذا النسق القائم على التفريق بينهما فيه اثبات لنزاهة القرآن الكريم بأنه هو كلام الله أما القراءات هي اختلافات في ألفاظ هذا الوحي المذكورة في الحروف.

وفي نفس السياق يؤكد مقصديته في الاختلاف بالرغم من تداخلها وارتباطها الوثيق حين قال: "ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقا غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجودا بينهما بمعنى أن كلا منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى هذا التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئا واحدا فما القرآن إلا التركيب واللفظ وما القراءات إلا اللفظة ونطقه والفرق هذا وذاك واضح وبين"[2] وهذا ما يوضح بأن الارتباط بينهما يوجد في اللفظ وأما الاختلاف هو في التركيب وكيفية نطقه.

3 -ب- دلالة على العموم: (القرآن أعم من القراءات):

وعلى الرغم من الفصل بين القرآن والقراءات إلا أننا نجد أن القرآن الكريم نزل من عند الله ونقل بالتواتر فهو عام ويشمل كل القراءات بنوعيها المتواترة بكلماتها والمختلف في حروفها فكلاهما – القرآن

---

[1] ـــ مقدمات في علم القراءات، أحمد خالد شكري،وأحمد مفلح القضاة، ومحمد خالد منصور، دار عمار، عمان، الاردن،ط1422،1ه 2001م، ص: 49.

[2] ـــ نفسه ص: 51.

والقراءات- نزل للاعجاز والبيان "فإن القرآن والقراءات المتواترة والاختلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الكلمات جزء من الوحي النازل عن النبي صلى الله عليه وسلم ... ولذا فإن القرآن الكريم أعم من القراءات القرآنية المتواترة كما أن القراءات الشاذة ليست من القرآن والقراءات القرآنية متواترة جزء من القرآن ولا تنافي بينهما فكل قراءة صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم هي بعض من أبعاض القرآن الكريم، نزلت رخصة وتخفيفا على الأمة كما ثبت ذلك في أحاديث الأحرف السبعة"[1] والمقصود هنا أن القراءات ما هي إلا جزء من القرآن الكريم
نزلت تيسيرا وتخفيفا على الأمة.

3-جـ- دلالة على التسوية:

ومما سبق نلحظ من أن التخريجات الدلالية للقرآن والقراءات على أنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا بينهما وهذه الدلالة تحمل في طياتها مايلي:

3 -جـ- -أ- دلالة على الاتحاد:

إن القرآن الكريم هو الأصل انتاج المعاني من أجل تحقيق الأهداف وذلك بإصلاح الفرد بالسلوك القويم ولهذا يجب استيعاب المعاني عن طريق القراءة وفهم المقاصد وهذه الأخيرة وأن تنوعت دلالتها فهي قائمة على إثراء المعاني الفنية وتفصيل الأحكام الواردة فيه يقول محمد سالم محيسن: "وكلها تدل دلالة واضحة على أنه لا فرق بين كل من القرآن والقراءات إذ كل منهما الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم"[2] وهذا التخريج استناد على مجموعة من الأحاديث التي يأمر فيها الله سبحانه وتعالى بأن يقرأ القرآن على سبعة أحرف وهذه دلالة على أن القرآن و القراءات معنى واحد.

اضافة إلى ذلك نجد دكتور محمد سالم محيسن ينطلق على أنهما على معنى واحد من مفهومهما وباشتراكهما في مصدر واحد وهو –قرأ- يقول: "وأرى أن كلا من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات...إن القرآن مصدر مرادف للقراءة...وأن القراءات جمع قراءة إذا فهما حقيقتان بمعنى واحد"[3] وهذا مكمن اتحادهما.

3 -جـ- -ب- دلالة على التكامل:

وفي هذا الباب نجد أن الثابت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قد راعى اختلاف بيئة اللغوية بين المسلمين فلاءم بين لغة القرآن ولهجاتهم وهذه دلالة على الارتباط الوثيق بين القرآن والقراءات له وبهذا الصدد يقول شعبان محمد اسماعيل: "فالواقع أنهما ليسا متغايرين تغايرا تاما كما أنهما

---

[1] ـــ في رحاب القرآن الكريم، محمد سالم محيسن، دار الجيل بيروت،دط، 1409ه1989م، ج1، ص: 210.

[2] ـــ نفسه، ص: 209-210

[3] ـــ القراءات أحكامها ومصدرها، شعبان محمد اسماعيل، دعوة الحق .السنة الثانية 1406ه، دط، دت، ص: 25

ليسا متحدين اتحادا حقيقيا بل بينهما ارتباط وثيق ارتباط الجزء بالكل والله أعلم"[1] فالواقع الاجتماعي التي تحكمه البيئة اللغوية له دور في تكامل القرآن والقراءات.

وعلى هذه التخريجات الدلالية نجد فيها ترسيخ دلالة قيمة راقية تنبه على المنطقية الموجودة في العلاقة الوطيدة بين القرآن القراءات بحيث أن "القراءات هي تلك الوجوه اللغوية والصوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيرا وتخفيفا على العباد"[2] فالقراءات التي أباحها الله خدمة للبشرية كافة لكي يتدبر ما في القرآن من معاني وفوائد تُقَوِمُ حياتهم في الدنيا من أجل الفوز بنعيم الآخرة.

ولكي تتجلى هذه الرؤية سنتطرق إلى نموذج نكتشف منه تعدد القراءة القرآنية، وإبراز دورها في إنشاء دلالة لغوية قال الله تعالى: **{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا }**[3]

وحتى يتجسد المشهد في كليته يجب أن نتطرق إلى معالم القراءات القرآنية التي نجدها في هذه الآية الكريمة، وفي بادىء الأمر يجب أن نفكك جزئياتها وتحديد دلالاتها من كل الجوانب ونعني بذلك سبب نزول الآية يقول أبي حيان (ت 745ه): "نزلت من أجل قوم كانوا إذا حضرت غزاة يستأذنون في القعود والتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم"[4] فإذا تجسد هذا المشهد أمامنا الذي ينبئ عن دناءة هؤلاء –التخلف عن الجهاد بغير عذر-من جهة أخرى، وقصورهم الفكري من جهة أخرى. إذ أنه إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم حقيقة الأسباب التي يقدمونها من أجل التخلف فإن الله عز شأنه عالم بما يعملون وما يفعلون مصداقا لقوله تعالى: **{ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ }**[5] .

وهكذا تتضح معالم الاختلاف حيث تسجل جوانب دلالية مهمة في هذا الاختلاف، من بينها تحديد أفضلية المجاهد عن القاعد التي تبينها هذه الآية يقول فخر الدين الرازي (ت 604ه) "إن

---

[1] ـــ أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سعيد اللبدي، دار الكتب الثقافية بيروت، لبنان، دط،دت، ص: 309.

[2] ـــ سورة النساء / 95 - 96

[3] ـــ تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود،وعلي محمد معوض، زكريا عبد المحيد النوفي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1413ه، 1993م، ج3، ص: 344.

[4] ـــ سورة الإسراء / 25

[5] ـــ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت لبنان،ط1، ج11، ص: 9.

المجاهد أفضل من القاعد الذي يكون من الأضراء بدرجة ومن القاعد الذي يكون من الأصحاء بدرجات وهذا الجواب إنما يتمشى إذا قلنا بأن قوله:{ **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** } لا يوجب حصول المساواة بين المجاهدين وبين القاعدين الأضراء"[1] .

وعليه نجد الاختلاف في القراءة موجود في هذه الآية في قوله تعالى: { **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** }[2] فقد "قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة { **غَيْرُ** } برفع الراء، ونافع وابن عامر والكسائي بالنصب ورويا عن عاصم، وقرأ الأعمش أبو حيوة بكسرها"[3]

وعلى هذا التحليل تتضح فائدة القراءات في تحديد المعنى فقراءة { **غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ** } بالنصب فنجدها عند الطبري (ت 310ه) حين قال :"والصواب من القراءة في ذلك عندنا { **غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ** } بنصب (غير) لأن الأخبار متظاهرة بأن قوله: { **غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ** } نزل بعد قوله:{ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ** } استثناء من قوله: لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون"[4]

وقد تطرق النحاس (ت338) إلى مختلف القراءات فقال على قراءة النصب "هذه قراءة أهل الحرمين وزيد بن ثابت و(غيرَ) نصب على الاستثناء وإن شئت على الحال من القاعدون أي لا يستوي القاعدون في حال صحتهم"[5] وفي هذا التعبير نجد فيه عدم مساواة في الأجر والثواب وإبراز التفاوت بين القاعدين الأصحاء والذين امتنعوا عن الجهاد بسبب عذر منعهم عن ذلك .

أما قراءة الرفع فنجد الأخفش الأوسط (ت 615ه) قد أشار إلى قارئ هذه القراءة بالرفع فقال له عن (غيرُ) هي "مرفوعة لأنك جعلته من صفة القاعدين"[6] وعلى هذه القراءة وتخريجها الدلالي نجد ابن كثير (ت 774ه) قد قرأها بالرفع موضحا دلالتها فقال: "فقوله تعالى: { **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ**

---

[1] ــ سورة النساء / 95

[2] ــ تفسير البحر المحيط، أبي حيان، ج3، ص: 344.

[3] ــ تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبَّري،تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 1424ه، 2003م،دار هجر للطباعة والنشر، ج7، ص: 366.

[4] ــ اعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1405ه 1985م، ج1، ص: 483.

[5] ــ معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط1، 1411ه،1990م،ج1، ص: 264.

[6] ــ سورة النساء / 95

الْمُؤْمِنِينَ}[1] كان مطلقا فلما نزل بوحي سريع: **{ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ }** صار ذلك مخرجا لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد – من العمى والعرج والمرض- عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم"[2].

وفي هذا التعبير نجد أن الرفع هو صفة للقاعدين أي القاعدين عن الجهاد بعذر معين فهم متساويين مع الذين جاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس أما الذين تخلف بغير عذر- كذلك تقديم الأعذار الغير المقنعة لتهرب عن الجهاد- فلا تحق لهم المساواة.

وفي نفس السياق نجد الحديث يدل على معنى الرفع "عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٌ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَمْلَى عَلَيَّ: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) فَجَاءَهُ ابْنُ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ رَجُلاً أَعْمَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي سُرِّيَ عَنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ **{ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ }**[3]"[4] ودلالة الرفع في هذه الآية نفهمه من تخريج الزمخشري (ت 538ه) حين قال: "معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته"[5] وهو يدل –الرفع- على أنه صفة خاصة بالقاعدين .

وفي توجيه طاهر محمد بن عاشور قد أجاز في (غير) الرفع والنصب مفصلا تركيب قوله تعالى: **{ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ }** قال: "وجاز في (غير) الرفع على النعت والنصب على الحال لأن ((القاعدون)) تعريفه للجنس فيجوز فيه مراعاة اللفظ والمعنى والضرر: المرض والعاهة من عمى أو زمانه لأن هذه الصيغة لمصادر الأدواء ونحوها وأشهر استعماله في العمى ولذلك يقال للأعمى ضرير ولا يقال ذلك للأعرج والزمن ... والضرر مصدر ضَرِر -بكسر الراء- مثل مرض"[6]

---

[1] ــ تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: سامي بن محمد السَّلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،ط1، 1418ه،1997م، ط2 ،1420ه، 1999م، ج2، ص: 387.

[2] ــ سورة النساء / 95

[3] ــ مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، ط1، 1428ه، 2007م، رقم الحديث: 1224، ص: 294.

[4] ــ الكشاف، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد عبد الموجود،علي محمد معوض، مكتبة العبيكان الرياض،ط1، 1418ه، 1998م، ج2، ص: 135.

[5] ــ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر،ج5، ص: 171.

[6] ــ اعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ج1، ص:483.

بعد هذا التفصيل للضرر غايةٌ الهدف منها أن كلا القراءتين صحيحتين فهو يرى أن ضرير وتعذره عن الجهاد لا يتساوى في الأجر والثواب مع المتخلف عن الجهاد بدون عذر –أو تقديم عذر غير مقنع لتهرب عن الجهاد-، كما أن المساواة في الأجر والثواب تشمل ذوي الأعذار والمجاهدين.

أما قراءة الجر فقد أشار النحاس إلى معنى قراءتها فقال: "وقرأ أبو حيوة { **غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ** } جعله نعتا للمؤمنين"[1] وهذه تدل على معنى "يعنى به المجاهدون والقاعدون وأولو الضرر لأنهم كلهم مؤمنون وإن كان بعضهم أفضل من بعض { **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** }"[2][3] وهذا التعبير دليل على أن المفاضلة متفاوتة بين المجاهدين والقاعدين بعذر والمتخلف عن الجهاد، ومن هذا الطرح يكون الأجر العظيم قد أخذه المجاهد مقارنة بالمتخلف بغير عذر –أو الذي قدم عذر قصد التخلف عن الجهاد- وهذا التخريج الدلالي نجده عند القرطبي (ت 671ه) حين قال على من قرأ (غيرِ) بالكسر وجعله نعتا للمؤمنين فالمقصود بها "أي من المؤمنين الذين هم غير أولي الضرر أي من المؤمنين الأصحاء"[4]

ومن هذا يتضح أن الجهاد في سبيل الله هو أفضل القربات وأعظم الطاعات من أجل إعلاء كلمة الدين وقمع المنافقين كما فيها تحفيز على الجهاد قال السدي (ت 168ه) عن هذه الفضيلة التي أبرزتها لنا الآية "فضل الله المجاهدين من أولي الضرر بدرجة واحدة، وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير أولي الضرر درجات"[5] وفي هذا تسهيل لإنتشار الدعوة ونشر محاسن الإسلام وأحكامه بين الخلق أجمعين.

وخلاصة الأمر أن هذه التخريجات الدلالية أتت بفضل تعدد القراءات لهذه الآية ويستخلص أبى علي الفارسي (ت 377ه) من هذا الاختلاف في (غير) قال: "من رفعه جعله صفة للقاعدين ومن جر جعله صفة للمؤمنين ومن نصب جعله استثناء"[6] و هذا الاختلاف في القراءات القرآنية نجد فيه ثراء في المعنى وثبات للشريعة الإسلامية بضبط الاختلاف فيه من القراءات.

---

[1] ــ سورة النساء / 95

[2] ــ اعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ج1، ص:484.

[3] ــ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، 1427ه، 2006م، ج7، ص: 59.

[4] ــ تفسير السدي الكبير، أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، دراسة محمد عطا يوسف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة،ص: 213.

[5] ــ الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي، تح: حسن شاذلي فرهور،ط1، 1389ه،1969م، ج1، ص: 209.

[6] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، (القاهرة)، مصر، ط2، 2006م، ص: 4.

خـــــاتـمـة:

وفي ختام هذا العمل أدركنا أن ألفاظ القرآن الكريم منظمة المعاني محكمة النسيج بالرغم من تعدد القراءات واختلافها ففي هذه الأخيرة ثراء يذهب بمخيلة القارئ ليتعايش مع أحداثها ووقائعها وهذا مكمن الإعجاز في القرآن الكريم ومن النتائج التي أدركناها هو أن القراءات تفتح المجال لتعدد المعاني واتساعها كما نلتمس منها دلالة أن القرآن صالح لكل زمان ومكان وعلى هذه المفاهيم استقر الدري اللغوي على ألفاظ الوحي التي ضبطها العلماء من تعدد قراءاتها لتبيين مقاصدها ومعانيها وكل قراءة تجعل القارئ يتعايش مع وقائعها وأحداثها كأنها تُرى.

قائمة المصادر والمراجع:

1- دراسات أدبية مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م

2- البرهان في علوم القرآن محمد بن عبد الله الزركشي،تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، مصر، دط، دت

3- لسان العرب، ابن منظور،دار صادر بيروت،لبنان، ط1

4- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيرت لبنان، ط4، 1990م

5- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تح: عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1392هـ 1972م ، مصر

6- مفتاح السعادة مصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى(بطاش كبرى زاده)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ 1985م

7- علم القراءات، نشأته_ أطواره_أثره في العلوم الشرعية، نبيل لن محمد إبراهيم آل إسماعيل، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط1، 1431ه 2000مـ.

8- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني تح: أبي حفص سامي بن العربي الأشري، دار الفضيلة للشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1421،1ه 2000م.

9- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1414ه 1994م.

10-مقدمات في علم القراءات، أحمد خالد شكري،وأحمد مفلح القضاة، ومحمد خالد منصور، دار عمار، عمان، الاردن،ط1422،1ه 2001م

11-في رحاب القرآن الكريم، محمد سالم محيسن، دار الجيل بيروت،دط، 1409ه1989م

12-القراءات أحكامها ومصدرها، شعبان محمد اسماعيل، دعوة الحق .السنة الثانية 1406ه، دط، دت.

13-أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سعيد اللبدي، دار الكتب الثقافية بيروت، لبنان، دط،دت.

14- تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود،وعلي محمد معوض، زكريا عبد المحيد النوفي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1413ه، 1993م

15-التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت لبنان،ط1.

16-تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبَّري،تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 1424ه، 2003م،دار هجر للطباعة والنشر.
17-اعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1405ه 1985م.
18-معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط1، 1411ه،1990م.
19-تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: سامي بن محمد السَّلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،ط1، 1418ه،1997م، ط2 ،1420ه، 1999م.
20-مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، ط1، 1428ه، 2007م.
21-الكشاف، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود،علي محمد معوض، مكتبة العبيكان الرياض،ط1، 1418ه، 1998م.
22- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
23-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، 1427ه، 2006م.
24-تفسير السدي الكبير، أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، دراسة محمد عطا يوسف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.
25-الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي، تح: حسن شاذلي فرهود،ط1، 1389ه،1969م.